سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

مَا أَحَلَّ الله لَكَ: شرب العسل.

تَبْتَغِي: تطلب.

تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ: تحليلها بالكفارة.

وَاللهُ مَوْلاكُمْ: ناصركم ومتولى أموركم.

حلف رسول الله ﷺ في مواجهة بعض المشكلات العائلية المثارة من قبل زوجاته، بأنه لن يشرب العسل أبداً، ولكن فعل الرسول تشريع؛ فكل ما يُلزم به نفسه يصير نموذجاً يحتذى به بالنسبة إلى أمته جمعاء، ولذلك أمره الله سبحانه بأن يتحلل من يمينه بأدَاء كفارتها الشرعية، ويعود بالتالي إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه مما هو حلال له، ذلك لكيلا يأخذ أفراد أمته فيما بعد في اجتناب العسل وعدم تناوله مطلقا باعتبار هذا العمل من لوازم الورع والتقوى!!

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ

إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

نَبَّأَتْ بِهِ: أخبرت به غيرها.

وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ: أطلعه الله تعالى على إفشائه.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا: مالت عن حقه ﷺ عليكما.

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ: تتعاونا عليه بما يسوؤه.

هُوَ مَوْلاهُ: وليه وناصره.

ظَهِيرٌ: فوج مظاهر معين له.

قَانِتَاتٍ: مطيعات خاضعات لله.

سَائِحَاتٍ: مهاجرات ، أو صائمات.

تعقيباً على الحادث المذكور أعلاه، جاءت هذه الآيات تلفت انتباه زوجات الرسول إلى خطورة ما أحدثه بعضهن من الأزمة العائلية في بيته - عليه الصلاة والسلام - بأسلوبٍ يشبه التهديد والإنذار، ومن هذا يتبين لنا أهمية النساء في شؤون الحياة .. والحقيقة أن النساء هن " النصف الأفضل " لأزواجهن إذا قمن بواجب مرافقتهم على خير ما يرام من الصدق والإخلاص والوفاء .. وأما إذا لم يرضين بأداء دورهن كرفيقات مخلصات على مدى العمر، فإنهن يستطعن إحباط مشروع إنسان هادف بأكمله بإثارة الضجة أوْ الشغب في بيته على توافه الأمور !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

قُوا أَنْفُسَكُمْ: جنبوها بالطاعات.

غِلاظٌ شِدادٌ: قساة أقوياء وهم الزبانية.

كثيراً ما يحدث في حياتنا الراهنة أن المرء ينظر إلى بعض الأشياء على أنه حق، ولكن حبه الزائد الشديد لزوجته وأولاده يحمله على ترك ما يعتقده في قرارة نفسه حقاً، وفعل ما يُرضي أولاده وزوجته ولو بالوسائل اللامشروعة أو الطرق غير المحمودة ، بيْد أن هذا خطأ وخيم العواقب ، فلْيأخذْ المرء في حسبانه دائماً أن أولاده هؤلاء الذين يبالغ في الاعتناء بتلبية رغباتهم لدرجة أن ينسى - أوْ يتناسى - معها الاعتناء بالحق، سيتم تسليمهم غداً، من جراء سلوكهم المنحرف هذا، إلى زبانية جهنم الموكّلين بتعذيب أهل النار، وهم من القسوة والغلظة بحيث لا يعرفون اللين والرحمة، كالإنسان الآلي (الروبوت)، وإنما همهم الوحيد أن ينفذوا ما وُكلوا به فوراً بلا هوادة ولا محاباة !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

تَوْبَةً نَّصُوحاً: خالصة، أو صادقة أو مقبولة.

لاَ يُخْزِي الله النَّبِيَّ: لا يذله بل يعزه ويكرمه.

وضُع الإنسان في هذا العالم وسط ظروف وأحوال مهيأةٍ للامتحان والاختبار، ولذا فلا مندوحة للإنسان هنا من الوقوع بين حينٍ وآخر في خطأ ما ، ولكن بإمكانه أيضاً أن

يتلافى ذلك بالتوبة، أي بالرجوع إلى الله. وحقيقة التوبة هي الندم ولو أحس المرء بسوء ما فعل حقاً ، لأصيب بأشد حالات الندم والأسى، مما سيرغمه على تجنب ذلك الفعل فيما بعد قدر المستطاع .. ومن ثم جاء في الحديث : " الندم توبة " . كما روي عن بعض الصحابة، وهو يصف الإنسان التائب، قوله : "يتوب ثم لا يعود". والتوبة هي ما كانت توبةً نصوحاً أي صادقةً . وهي ليست علَماً على التفوه ببعض الكلمات وترديدها دون وعْي أوْ ندمٍ، فعن عليّ ﷺ أنه سمع أعرابياً يقول :" اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك " وذلك على إثر اقترافه بعض الذنوب، فقال علي : " يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين .. " إن التوبة الصادقة هي نور الآخرة، بينما التوبة الكاذبة ستنقلب ظلاماً في الآخرة !

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ: شدد. أو اقس عليهم.

فَخَانَتَاهُمَا: بالنفاق أو النميمة.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا: فلم يدفعا ولم يمنعا عنهما.

إن الأمر بجهاد المنافقين - إلى جانب جهاد الكفار - هنا يعني تناولهم بالمحاسبة الشديدة ، وهذا حكم دائم،حيث ينبغي للكبار والمسئولين في المجتمع الإسلامي أن يتعهدوا أفراد المجتمع بالإشراف والرعاية دائماً، ويرصدوا كل تحركاتهم بعيونٍ ساهرة، فمن واجبهم إذا ما رأوا أحداً منهم يباشر ما لا يليق به كفرد مسلمٍ،أوْ يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر،أن يحاولوا منعه من ذلك بكل الطرق والأساليب الممكنة ، وإن

الإنسان ليس ينفعه عند الله يوم القيامة شيء سوى عمله الذاتي،حتى قرابته من الصالحين أوْ انتسابه إليهم لن يغني عنه يومئذٍ فتيلاً. فلقد كان نوح ولوط نبيين عظيمين من أنبياء الله، غير أن زوجتيْهما لم تكونا وفيتيْن لهما بإضمارهما المودة القلبية والولاء لأعداء الحق ، مما أدى إلى انخراط كل واحدةٍ منهما، رغم كونها في عصمة النبي، في سلك أهل النار !!

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا: عفت وصانته من الرجال.

مِن رُّوحِنَا: روحا من خلقنا بلا توسط أب (عيسى) .

مِنَ القَانِتِينَ: من القوم المطيعين لربهم.

كان فرعون رجلاً كافراً وظالماً ، ولكن زوجته (آسية بنت مزاحم) كانت امرأة مؤمنةً صالحةً ، ولما أخذت الزوجة نفسها بالتزام طريق الصلاح والاستقامة، لم يضرها فساد الزوج شيئاً ، حيث أُلقي بالزوج في نار جهنم، بينما حظيت الزوجة بمقام أمين كريم في جنات النعيم !!

قوله: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ كناية عن الحفاظ على عفتها ، فقد ظلت السيدة مريم -عليها السلام- عفيفةً طاهرة مصونة من كل ما يخدش الشرف أوْ العرض مذ كانت طفلة صغيرةً إلى أن بلغت سن الشباب ، ومن ثم اختارها الله سبحانه لتكون أماً للنبي "المعجزة "،وقد نفخ جبريل بأمرٍ من الله - كما ورد في بعض الروايات - نفخةً في جيب قميصها، فحملت بسيدنا عيسى عليه السلام بدون أب !